طرق المعاشرة
وأساليب التعامل
مع الزوجة

طرق المعاشرة وأساليب التعامل مع الزوجة

الزوجة من أجمل متع الحياة:

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «**حُبِّب إليَّ من دنياكم: النساء والطيب، وجُعلَت قرة عيني في الصلاة**»[2].

فالزوجة من أجمل متع الحياة، ونعمة كبيرة، ونعيم عاجل، خاصة إذا كانت تحمل صفات الزوجة الصالحة التي قال عنها النبي ﷺ: «**خير النساء التي تَسرُّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره**»[3].

وخليق بمن هذا هو شأنها أن تعاشَر بالمعروف كما أمر الله، وأن تعامَل المعاملة الحسنة وبأحسن أساليب التعامل التي يتعامل فيها الرجل مع نفسه؛ لأن زوجته من نفسه وهو وهي نفس واحدة، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣١٢٤.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٢٩٨.

﴿زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا...﴾[1]. فالرجل يسكن إلى زوجته ويأنس بها ويطمئن، وليس هناك إلفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين.

والزوجة تحصن فرج الرجل، وتقوم على خدمته، وتربي أولاده... بالرغم من كل التغيرات التي تحدث لها في جسمها وفي نفسها وعقلها وما يصاحبها من أعراض مختلفة، والتي إذا تأمَّل فيها الرجل وبأنها تحدث لإنسان أضعف منه جسدًا ونفسًا وعقلاً... فسيدعو لها الله بأن يعينها على ذلك... وربما سيتعجب من أمر الرجال كيف أنهم يحمِّلون المرأة ما لا تطيق، ويغضبون لأي تقصير يظهر منها في مرحلة الحمل، أو في مرحلتي الحيض والنفاس، في الوقت الذي أسقط الله عنها ما افترضه عليها من صلاة وصيام وعبادات أخرى في هاتين المرحلتين...!.

ولأن الله خالق المرأة وهو أعلم بتكوينها وأسرارها فقد أوحى إلى رسوله ﷺ أن يعلم الرجال طريقة معاشرتها والتعامل معها؛ فأوصى عليه الصلاة والسلام بالمرأة وصايا كثيرة ليس هناك أفضل من اتباعها حتى يدوم الوفاق، وتدوم المودة والرحمة، وتدوم العشرة... فما أجمله وما أبلغه من قول قاله رسول الله ﷺ عن المرأة: «**إن المرأة خُلقت من ضلع، وإنك إن ترد إقامة الضلع تكسرها، فدارِها تَعِش بها**»[2].

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٩.
(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٩٤٤.

نعم... دارِها تعِش بها... دارِها لأنها حساسة جدًا... دارِها لأنها خُلقت من عوج... دارِها لأنها لا تستقيم لك على طريقة ولا تقدر على تقويمها... وإنك إن أردت تسوية اعوجاجها وتقويمها تقويمًا تامًا؛ أدى ذلك إلى كسرها (وكسرها طلاقها) كما قال رسول خالقها ﷺ. وإن لفي هذه الكلمة الواحدة: (دارِها)؛ أسرارًا كثيرةً وأساليبَ متعددةً للتعامل مع المرأة، غير التي سوف ترد في هذا الفصل، وبإمكان كل زوج أن يجتهد في (دارِها) بحسب حالته الخاصة؛ وأعني أن يجتهد في إيجاد طرق للمعاشرة بالمعروف وأساليب حسنة للتعامل مع زوجته...

يعيش الرجل طوال حياته في حالة واحدة دون تغيرات جسمية كتغيرات المرأة، في حين أن المرأة تتقلب في حياتها فيما بين أربع حالات، كل واحدة منها تختلف عن الأخرى وهي: الطهارة، والحيض، والحمل، والنفاس. وكل واحدة من هذه الحالات تُحْدِث للمرأة أعراضًا وتغيرات خاصة مختلفة عن الحالات الأخرى، حتى إن بعض النساء يتغير سلوكهن وتصرفاتهن من حالة لأخرى... فعندما تكون المرأة في حالة الحيض فإنها ليست كما تكون في حالة الطهارة، حتى إن خالقها وبارئها قد ميَّزها بين هاتين الحالتين فأسقط عنها في حالة الحيض ما أوجبه عليها في حالة الطهارة من الصلاة والصوم ودخول المسجد والطواف وغير ذلك من العبادات، وكذلك حرَّم جماعها في الفرج... فهي إذًا امرأة مختلفة

أو ذات وضع مختلف كثيرًا عن وضعها في حالة الطهارة. وكذلك هي في حالة الحمل تختلف عما تكون عليه في حالة غير الحمل، وحالتها في النفاس تختلف عن حالتها في الحيض مع ما بينهما من التشابه سواء من ناحية نزول الدم أو من ناحية إسقاط الفرائض.

ومن هنا ندرك أن المرأة ليست على حالة أو طريقة واحدة طوال حياتها، وقد أخبرنا النبي ﷺ عن المرأة أنها «لن تستقيم لك على طريقة»... فمن الخطأ أن يتعامل الزوج معها بطريقة واحدة في خط مستقيم على أساس أنها دائمًا في حالة واحدة، بل إضافة إلى طريقة المعاشرة الأساسية العامة في كل المراحل، عليه أن يستخدم لكل حالة من هذه الحالات أسلوبها الخاص في التعامل، لأن كل حالة تحتاج إلى ما يناسبها من معاملة الرجل ومعاشرته لزوجته.

وفيما يلي أقدم اقتراحات لبعض طرق المعاشرة مع الزوجة وأساليب التعامل معها في أوقات هذه الحالات، وأبدأ بمرحلة الحيض.

أساليب التعامل في مرحلة الحيض:

لقد عرفنا فيما سبق أن الحيض يصيب المرأة بأعراض عديدة ومختلفة. فجهازها العصبي والذهني يصبح غير منظم في هذه المرحلة. فيؤثر الحيض على قواها الذهنية وأفعال أعضائها، وقد تصدر منها الأفعال بغير إرادة.

والمرأة في حالتها هذه تصبح عصبية، تثور ثائرتها لأدنى بادرة ولأتفه الأسباب، فترتكب الحماقات ووحشي الحركات. وقد تصبح سليطة اللسان، فاجرة عند الخصام، يشكو من سوء خُلُقها الزوج والأولاد والخدام.

ومن خلال تأملاتي وجدت أن ما يحدث داخل المرأة في مرحلة الحيض عبارة عن ثورة داخلية شاملة لكل الأعضاء التي شاركت وبذلت مجهوداً في إعداد المرأة لتصبح حاملاً، فالمبيض الذي عمل على إنضاج الحويصلة التي تحتوي على البويضة، والحويصلة التي عملت على إنضاج البويضة ثم أطلقتها باتجاه باب القناة الرحمية كما يطلق المدفع القذيفة، ثم تلقف القناة للبويضة ودحرجتها إلى الأمام باتجاه الرحم، ثم تحول الحويصلة إلى الجسم الأصفر وقيامه بإنتاج الهرمون المطلوب لتنظيم عملية الحمل، ثم الرحم الذي استعد لاستقبال البويضة بتجهيز الفراش الخاص بها، ثم موت البويضة بسبب عدم التلقيح، وضياع مجهود كل هذه الأعضاء سدى، فهذه الحالة أشبه ما تكون بغضب داخلي عارم نتج عنه انفجار بركاني داخل الرحم فقذف حممه من الدم والمخاط والغشاء وغير ذلك إلى الخارج. أو كدار فقدت عزيزًا -وهو هنا البويضة التي لم تُلقح فماتت- فقام الصياح والنواح في جميع أرجاء الدار، وسالت الدموع إلى الخارج على شكل دم أسود حار كأنه محترق من فرط الحزن واللوعة على المفقود. ولا شك أن هذه الثورة أو المناحة

الداخلية تنعكس على كيان المرأة كله، الجسدي والنفسي، ويظهر ذلك في سلوك المرأة وتصرفاتها.

وإن امرأة هذه حالتها الجسمية والنفسية، وهي حالة خارجة عن إرادتها، لحري بزوجها أن يعطف ويصبر عليها، وألا يرتب على أفعالها أي ردود فعل عنيفة أو خطيرة. ومن ردود الفعل الخطيرة التي نهى الإسلام عن إصدارها بحق المرأة في هذه المرحلة الحرجة، الطلاق.

فهنا تظهر لنا حكمة التشريع الإسلامي في منع الزوج من طلاق زوجته أثناء حيضها، وأمره بأن يطلقها -إن شاء- في طهرها، حيث قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ...**﴾الآية[1]. ونستطيع أن نلحظ فائدتين أو حكمتين من تحريم الطلاق وقت الحيض، وهو ما أطلق عليه الفقهاء (الطلاق البدعي):

الأولى: أن التغيرات التي تحدث في جسم المرأة وقت الحيض وتنعكس سلبًا على نفسيتها قد تجعلها تأتي من الأقوال أو التصرفات ما لا تقبله في وقت الطهارة، بل ربما تندم على ذلك وتستغرب حصوله منها، ولهذا أُمر الزوج بانتظارها حتى تطهر، فقد يظهر منها ما يجعله يتراجع عن قرار الطلاق الذي اتخذه بسبب نزاع قام بينه وبينها وقت حيضها.

(١) سورة الطلاق، الآية: ١.

الثانية: أن المعاشرة الجنسية الكاملة، وهي وسيلة مهمة لخلق المودة والرحمة والدفء بينهما، تكون متوقفة بين الزوجين مدة حيض المرأة، بل ولا يستبعد أن يوجد بينهما خلال هذه المدة اشمئزاز وعدم تفاهم وانسجام، ومن المتوقع بعد زوال هذه العقبة أن تعود العواطف الجميلة، والمشاعر الرقيقة الصافية، وتجعل الزوجين -كما يقال- سمنًا على عسل، فيطير ذلك الغبار والقتم الذي كان يدفعهما صوب الطلاق[1].

وقد منع رسول الله ﷺ الطلاق أثناء الحيض، وتغيظ على عبد الله بن عمر؛ لأنه طلق امرأته في حيضها، وقال لعمر بن الخطاب الذي أخبره بذلك: «**مره فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء**»[2]. وقوله ﷺ: «**إن شاء أمسك بعد**»؛ يفهم منه أن الأمور قد تتغير حين تطهر الزوجة وينقلب النفور إلى انجذاب، والخلاف إلى اتفاق، والنزاع إلى ود وائتلاف. ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني: فقد يجامعها فيذهب ما في نفسه من سبب طلاقها فيمسكها[3].

---

(١) انظر: أبو الأعلى المودودي، حقوق الزوجين ٥١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾.

(٣) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٣٤٩/٩.

وأستطيع القول: إنه إذا كان الرجل مأموراً بعدم طلاق زوجته في مدة حيضها، فكذلك من شيم الأخلاق والوصاية بالنساء خيراً ألا يؤاخذها ولا يحاسبها على كل ما يظهر منها خلال هذه المدة من الأمور المنزلية التافهة غير التي فيها حد أو عقاب شرعي، فالحيض شيء كتبه الله على بنات آدم، وإذا كانت الصلاة التي هي من أعظم العبادات ومن أفضل الأعمال في الدنيا قد أسقطها الله تعالى عن المرأة طيلة مدة المحيض، أفيأتي الرجل فيكلفها بما لا يعد شيئًا يذكر بجانب الصلاة ثم يحاسبها عليه؟!.

لقد حارت الأمم ومارت فيما يفعلونه مع المرأة عندما يأتيها الحيض، فكان الفرس ينفون الأنثى في مرحلة الحيض إلى مكان بعيد خارج المدينة، ولا يجوز لأحد مخالطتها إلا الخدام الذين يقدمون لها الطعام. وعند بعض الأمم لا يجوز للحائض أن تعجن العجين، وتُمنع من تنسيق الزهور والورود، وترتيب الفواكه أو صنع المربيات، وعليها أن تجلس في دارها لتحيك الثياب. وكان اليهود لا يجالسون الحائض ولا يؤاكلونها، ولا تلمس وعاءً حتى لا يتنجس، ولا ينام زوجها معها في فراش واحد، وكان بعضهم ينصب للحائض خيمة ويضع أمامها خبزًا وماءً ويجعلها في هذه الخيمة حتى تطهر. وإنه لمن المؤسف أن هذا الفكر اليهودي قد سرى إلى بعض القرى العربية فأصبح عندهم عادة مفادها أنه ممنوع على المرأة أثناء الحيض أو النفاس مس أوعية تحوي مؤونة الدار، وذلك خوف

فسادها، وما هذا إلا بسبب الجهل بأحكام الإسلام وآدابه السمحة التي فيها اليسر ورفع الحرج والمشقة.

ففي العدد التاسع عشر إلى العدد الرابع والعشرين من الإصحاح الخامس عشر من سفر اللاويين من التوراة التي يتعبد بها اليهود والنصارى:

«وإذا كانت امرأة لها سيل وكان سيلها دمًا في لحمها فسبعة أيام تكون في طمثها وكل من مسَّها يكون نجسًا إلى المساء. وكل ما تضطجع عليه في طمثها يكون نجسًا وكل ما تجلس عليه يكون نجسًا. وكل من مسَّ فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء. وكل من مسَّ متاعًا تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء... وإن اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه يكون نجسًا سبعة أيام. وكل فراش يضطجع عليه يكون نجسًا».

وعن أنس رضي الله عنه: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت[1]، فسأل الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ...**﴾ إلى آخر الآية، فقال رسول الله ﷺ: «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**»، فبلغ ذلك اليهود

(١) ولم يجامعوهن في البيوت: أي لم يخالطوهن ولم يساكنوهن في بيت واحد.

فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه[1].

فمن رحمة الإسلام بالمرأة أنه لم يقر ما كانت الأمم الأخرى تفعله من إخراج الحائض وعدم مساكنتها في البيت الواحد، بل أباح مباشرتها والاستمتاع بها بجميع صور الاستمتاع إلا الجماع. فضلاً عن مؤاكلتها والمبيت معها ولو في الفراش الواحد. فعن عائشة، قالت: «**كنت أتعرَّق[2] العظم وأنا حائض، فأعطيه النبي ﷺ، فيضع فمه في الموضع الذي فيه وضعته، وأشرب الشراب، فأناوله فيضع فمه في الموضع الذي كنت أشرب**»[3]. وعنها أيضًا: «**أن النبي ﷺ كان يتكئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن**»[4].

وإذا كان من بين الأسباب التي تجعل تلك الأمم غير الإسلامية تتجنب مخالطة المرأة والسكن معها في البيت نفسه، هو سلوك المرأة وتصرفاتها أثناء مدة الحيض، فقد وصى الإسلام بالصبر عليها وعدم محاولة تقويم العوج الذي في طبعها بالقوة، والتجاوز عن أخطائها وإكرامها والإحسان إليها.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب جواز قراءة القرآن في حجر الحائض.
(٢) التعرُّق: أخذ اللحم بالأسنان.
(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٣٢.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الحيض، باب قراءة الرجل في حَجر امرأته وهي حائض.

وصايا الإسلام بالمرأة:

لقد وصى الإسلام جملة وصايا بالنساء، وكان توجيه الخطاب إلى الرجال وما ذلك إلا لأن ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ...** ﴾ الآية[1] ولأن ﴿ **وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴾[2] ولأن الوعاء الكبير يستوعب الوعاء الصغير، وهذه بعض الوصايا:

قال الله تعالى: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾[3]. «أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله... فعسى أن يكون صبركم في إمساكهن مع الكراهة فيه خير كثير لكم في الدنيا والآخرة»[4].

وقال تعالى: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾[5]. «أي ولهن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن، فليؤد كل واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف... وعن ابن عباس قال: إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي المرأة لأن الله يقول: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾»[6].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ١/٤٧٧.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٦) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ١/٢٧٨.

وقال رسول الله ﷺ: «**... واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خُلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً**»[1].

يستفاد من الحديث تشبيه المرأة بالضلع وأنها عوجاء مثله لكون أصلها منه، أو إشارة إلى أنها خلقت من أعوج أجزاء الضلع مبالغة في إثبات هذه الصفة لها، ويحتمل أن يكون ضرب ذلك مثلاً لأعلى المرأة لأن أعلاها رأسها، وفيه لسانها وهو الذي يحصل منه الأذى، ولهذا يوصي النبي ﷺ الرجال بالنساء خيراً، كأن فيه رمزًا إلى التقويم برفق بحيث لا يبالغ فيه فيكسر ولا يتركه فيستمر على عوجه. ويؤخذ منه ألا يتركها على الاعوجاج إذا تعدت ما طبعت عليه من النقص إلى تعاطي المعصية بمباشرتها أو ترك الواجب، وإنما المراد أن يتركها على اعوجاجها في الأمور المباحة. وفي الحديث الندب إلى المداراة لاستمالة النفوس وتألف القلوب. وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن والصبر على عوجهن، وأن من رام تقويمهن فاته الانتفاع بهن مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه، فكأنه قال: الاستمتاع بها لا يتم إلا بالصبر عليها[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن المرأة خُلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها، استمتعت بها وبها**

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء.
(٢) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٩/٢٥٣-٢٥٤.

عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها»[1].

وقال ﷺ: «**لا يَفْرَك**[2] **مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلُقًا رضي منها آخر - أو قال: غيره**»[3].

فعلى الزوج أن يقدِّر الظروف التي تمر بها المرأة في مرحلة الحيض، ويصبر عليها ويحسن عشرتها ويداريها قدر الإمكان، وإن من الأمور التي أنصح بها في التعامل مع الزوجة أثناء مرحلة الحيض، هي:

- أن يطلب من زوجته إبلاغه عن مجيء الحيض في كل مرة.
- أن يجعل لنفسه علامة تذكِّره بأن زوجته حائض بمجرد دخوله إلى البيت.
- فإذا دخل البيت ورأى العلامة يظل مراقبًا لسلوكه وتصرفاته مع زوجته، فلا يتعامل معها إلا بلطف وحب ومودة ورحمة. وإن كان هذا هو المطلوب دائمًا إلا إنه في وقت الحيض مطلوب أكثر.
- لا يناقش معها أي موضوع يعرف أن هناك اختلافًا في وجهات نظرهما حوله حتى لا تتطور الأمور إلى جدال عنيف، ونزاع خطير، وألفاظ غير محسوبة.
- لا يحمِّلها من الأعمال أكثر مما تقوم به من نفسها.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء.

(٢) يفرك: يبغض.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء.

وبعبارة أخرى أن يتعامل معها كما لو أنها تقضي إجازة لمدة أسبوع من كل شهر. خاصة أن كل إنسان يأخذ إجازة من عمله، في حين الزوجة في دوام دائم أبدًا دون إجازة من عمل بيتها. وإن أفضل وقت يمكن أن تطيعه فيه وتلبي طلباته وهي سعيدة وراضية ومقبلة غير مدبرة هو الأسبوعان اللذان يأتيان بعد انتهاء الحيض. فليستغل هذه الأيام لصالحه قبل أن تدور الدائرة ويقترب موعد الحيض التالي، بل إن مزاج المرأة يبدأ في التقلب قبل أيام من موعد الحيض.

الاستمتاع في مرحلة الحيض:

ومن طرق معاشرة الزوجة في مرحلة الحيض ألا يجامعها في الفرج، **أولاً**: لتحريم ذلك بنص الكتاب والسنة، بقول الله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ** ﴾[1]. فاعتزال النساء وعدم قربهن يعني عدم جماعهن في الفرج، ويحل مباشرتهن وصنع كل شيء إلا الجماع لحديث النبي ﷺ المتقدم: «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**». وهكذا كانت سنته ﷺ مع نسائه، فتقول عائشة رضي الله عنها: «**كانت إحدانا إذا كانت حائضًا فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها أمرها أن تتَّزر في فور حيضتها ثم يباشرها**»[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض.

وثانيًا: لأن الطب[1] أكد أن دم الحيض أذى وضرر. فقد أثبتت (كوتيير) بأن دم الطمث يحوي الزرنيخ واليود والفوسفور والمانغانيز. فالحيض عبارة عن طرح الفائض من بعض المواد والسموم. ويقول (اسكنر): إن الحيض وسيلة لتنظيف المرأة وتخليصها من الشوائب والسموم، وإن الأعراض التي تنتابها أثناء الطمث لتدلنا على حدوث (تسمم داخلي ذاتي) في جسمها. هذا فضلاً عن أن الأعضاء التناسلية أثناء الحيض تتضخم، وتحمر أغشية الفرج المخاطية، ويزرق المهبل، وتشعر المرأة بارتخاء الرحم وثقله وبآلام وثقل في أسفل البطن.

وقال الله تعالى عن المحيض: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾. فهو أذىً للرجل والمرأة على السواء:

أ - أذى الرجل:

- لما يحمله الدم من جراثيم وسموم قد تنتقل عبر مجرى البول عند إدخال القضيب إلى المهبل المليء بالدماء فتؤدي إلى تكاثر الجراثيم والتهاب قناة مجرى البول. وتنتقل الجراثيم من قناة مجرى البول إلى البروستاتا والمثانة. والتهاب البروستاتا سرعان ما يزمن. فإذا ما أزمن فإن الجراثيم سرعان ما تغزو بقية الجهاز البولي التناسلي فتنتقل إلى الحالبين ومنه إلى الكلى. والتهاب الكلى

(١) انظر المعلومات الطبية في: (٢٠)، (٢٨).

عذاب مستمر حتى يحين الأجل. وقد تنتقل الجراثيم من البروستاتا إلى الحويصلات المنوية فالحبل المنوي فالبربخ فالخصية.

ب - أذى المرأة:

- يُقذَف الغشاء المبطن للرحم بأكمله أثناء الحيض. ويكون الرحم متقرحًا نتيجة لذلك، تمامًا كما يكون الجلد مسلوخًا. فهو معرض بسهولة لعدوان البكتيريا الكاسح. هذا فضلاً عن أن عنق الرحم يكون متوسعًا، والأوعية الدموية النازفة فاغرة أفواهها، وإن قليلاً من الجراثيم التي تلج المهبل أثناء الجماع ستعشش إذ تجد الدفء والرطوبة والحرارة والغذاء، وتجد الأبواب مفتحة لاستقبالها وتكوين الالتهاب فيها. ومن المعلوم طبيًا أن الدم هو خير بيئة لتكاثر الجراثيم ونموها. وتقل مقاومة الرحم للجراثيم الغازية نتيجة لذلك، وتشكل الجراثيم الموجودة على سطح القضيب خطرًا داهمًا على الرحم.
- قد تمتد الالتهابات إلى قناتي الرحم فتسدها أو تؤثر على شعيراتها الداخلية التي لها دور كبير في دفع البويضة إلى الرحم؛ مما يؤدي إلى العقم أو إلى الحمل خارج الرحم، وهو أخطر أنواع الحمل على الإطلاق. وقد تمتد الالتهابات إلى قناة مجرى البول فالمثانة فالحالبين فالكلى.
- مقاومة المهبل لغزو البكتيريا تكون في أدنى مستواها أثناء الحيض؛ إذ يقل إفراز المهبل الحامض الذي يقتل الجراثيم،

كما تقل المواد المطهرة الموجودة بالمهبل أثناء الحيض إلى أدنى مستوى لها. أما جدار المهبل المكون من عدة طبقات من الخلايا فإنه يرق أثناء الحيض ويصبح جداره رقيقًا ومكونًا من طبقة رقيقة من الخلايا بدلاً من الطبقات العديدة التي تكون في أوقات الطهر خاصة في وسط مرحلة الطهارة حيث يستعد الجسم بأكمله للقاء الزوج.

- إن أعضاء المرأة تكون محتقنة بالدماء أثناء الحيض، فإذا أُضيف إلى هذا ما ينشأ عن الجماع من احتقان وتقلصات، فقد يؤدي الأمر إلى وقوع النزف. والمرأة في الحيض تكون مضطربة الأعصاب فيزيدها الجماع انفعالاً واضطرابًا وربما اختلت الدورة الطمثية.
- تقل الرغبة الجنسية لدى المرأة خاصة عند بداية الحيض، وكثيرًا من النساء يكنَّ عازفات تمامًا عن الاتصال الجنسي أثناء الحيض ويملن إلى العزلة والسكينة، وهذا أمر طبيعي؛ لأن مرحلة الحيض هي مرحلة نزيف دموي من قعر الرحم، وتكون الأجهزة التناسلية بأكملها في حالة شبه مرضية، والجماع في هذه المرحلة يؤدي إلى كثير من الأذى.

فهذا موجز عن الأذى الذي يصيب كلاً من الرجل والمرأة إذا خالفا الأمر الإلهي: ﴿ **فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ** ﴾.

كما أن تحريم جماع الحائض قد جاء على لسان رسول الله ﷺ، حيث يقول عليه الصلاة والسلام: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، أو أتى امرأة حائضًا، أو أتى امرأة في دبرها، فقد برئ مما أنزل الله على محمد**»[1]. والأحاديث في هذا الباب كثيرة. وفي الحديث تحريم إتيان المرأة في دبرها أيضًا؛ فإذا كان تحريم إتيان المرأة في فرجها -الذي هو حلال في الأصل- لأجل الأذى المؤقت الأصغر وهو الحيض، فمن باب أولى تحريم إتيانها في الدبر الذي هو محل الأذى الدائم الأكبر... هذا فضلاً عن أن الفرج هو مكان الحرث الطبيعي والدبر شذوذ. فما الدبر إلا الشرج المؤدي إلى مستودع النجاسة (المستقيم)، مثلما أن (المثانة) مستودع البول.

فالإسلام نهى عن جماع الحائض كما يفعل بعض النصارى وغيرهم، ولم ينه عن مباشرتها والاستمتاع بها ومساكنتها ومؤاكلتها كما يفعل اليهود، فكان الإسلام وسطًا بين هؤلاء وهؤلاء، لا إفراط ولا تفريط. وهذا من رحمة الإسلام بالمرأة وعنايته بها حتى وهي حائض.

كلمة للزوجة:

وهنا كلمة لا بد من توجيهها إلى المرأة؛ وهي أنها إذا كانت ممن تحصل لهن بعض أعراض الحيض المذكورة، فهذا لا يعني أن

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣٠٤.

تطلق العِنان لنفسها في ارتكاب التصرفات السيئة، والسلوك المشين مع زوجها، وتبالغ في إظهار أعراض حيضها. بل عليها أن تضبط نفسها، خاصة لسانها، فقد تقول كلمة تجرح فيها زوجها جرحًا عميقًا جدًا يصعب التئامه، ويصعب على الزوج تجاوزه أو نسيانه، أو يرفض تحميل الحيض السبب في ذلك لمعرفته بأنه كان بإمكان الزوجة بالرغم من حالتها هذه أن تتجنب التلفظ بهذا النوع من الكلام. فقد سمعنا وقرأنا عن بعض النساء أنهن يرخين العِنان للسانهن سواء في مرحلة الحيض أو الطهارة برفع الصوت على الزوج أو الأولاد إلى درجة تُسمع فيها المارة في الطريق، أو بسب الزوج وشتمه بأقبح الألفاظ وأفحشها التي تعطي من يسمعها انطباعًا سيئًا عن شخصية المتلفظة بها وعن مستواها الأخلاقي ونوعية تربيتها ومنبتها.

وكما أن على الزوجة أن تضبط لسانها فكذلك عليها أن تضبط أطرافها، خاصة يديها، فلا ترتكب بها ما سوف تندم عليه فيما بعد، من تكسير الأواني المنزلية، أو خبط الأبواب، أو رجم الأولاد بما تيسر بجانبها. فقد سمعنا أيضًا عن النساء راجمات الأحذية والصحون وغيرها مما نتج عن ذلك مصائب عظيمة وأضرار فادحة وعاهات أو تشوهات دائمة بأولادهن.

فالرجل عندما يعود من عمله إلى بيته يتوقع أن يجد ما تزوج من أجله وهو السكن والمودة والرحمة، لا ليدخل إلى بيته وكأنه قد

دخل إلى قسم النساء في مستشفى المجانين! فبعض النساء تتصرف في بيتها كأنها مجنونة فعلاً أو بها مس من الجن... وقد كان بجوارنا جارة، كان دوي صوتها وصراخها على زوجها وأولادها يُسمع في بيتنا كأنها موجودة فيه، بل إن صديقًا لنا يسكن في عمارة أخرى مجاورة أخبرني بأن صوت هذه المرأة يصل إلى داخل بيته حتى ظن أن بها مسًّا من الجن أو الجنون!.

فالمرأة المسلمة الملتزمة تضبط نفسها فتكتم أوجاعها، وتكافح أعراض حيضها وتتحكم بلسانها ومزاجها، ولا تترك الزمام يفلت من يديها، حتى لا يكون عاقبة أمرها خسرًا. بل الزوجة الصالحة هي التي تجعل زوجها لا يشعر بأي فرق بين وقت طهارتها ووقت حيضها. كما لا يغيب عن بالها الاهتمام بنفسها وجسمها وتفادي كل إجهاد وتوتر أو إثارة، فتعرض عن الزيارات المزعجة والأفلام والمسلسلات المثيرة.

وإذا كان الإسلام قد عني بالمرأة في حال الحيض، فقد وصاها أيضًا بإجابة زوجها إذا دعاها إلى الفراش وإن كانت حائضًا... فقد تستغل الزوجة - أحيانًا - مرحلة الحيض فتمتنع عن إجابة زوجها كونها معذورة عن الجماع، وهذا صحيح، إلا أنها ليست معذورة فيما عدا الجماع فيما لو أرادها زوجها؛ لأن للزوج الحق في الاستمتاع بها بجميع صور الاستمتاع إلا الجماع. نعم للزوجة الحق في الامتناع عن إجابة زوجها إذا علمت أنه لا يملك نفسه عند

مباشرتها وهي حائض من الوقوع في المحرم وهو مباشرة الفرج، أو أنه قد سبق له أن ارتكب مثل هذا الفعل المحرم، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وجماع الحائض معصية للخالق.

وقد تحاول الزوجة أثناء مرحلة الحيض تأجيل قضاء وطر زوجها إلى وقت الطهارة لكي تتم العملية الجنسية كاملة، وهذا إذا تم بالاتفاق مع الزوج وبرضاه بحيث لا يكون هناك شيء في صدره تجاهها فلا مانع من ذلك، أما إذا لم يوافق، أو وافق ولكن على مضض وتبرم منها ولم يقض وطره فالخشية أن تصيبه تغيرات وأمراض نفسية ومنها السخط والنفور من زوجته، خاصة إذا تكرر منها هذا الأمر، وإذا أصابه النفور - على الأقل- فهذا ليس في مصلحة الزوجة، وربما دفعت ثمن ذلك في المستقبل.

طرق المعاشرة في مرحلة الحمل[1]:

لقد وصَّى الله تعالى ورسوله ﷺ بالإحسان إلى الأم، قال تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا** ﴾[2]. وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، مَن أحق بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**». قال: ثم مَن؟ قال: «**أمك**». قال: ثم مَن؟ قال: «**أمك**». قال: ثم مَن؟ قال: «**ثم أبوك**»[3].

(١) انظر المراجع التالية: (٢٠)، (٢٩)، (٣١)، (٣٥)، (٤١)، (٥٣).

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة.

قال العلماء: «وسبب تقديم الأم كثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ومعاناة المشاق في حمله ثم وضعه ثم إرضاعه ثم تربيته وخدمته وتمريضه وغير ذلك»[1]. قال ابن بطال: «مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، قال: وكان ذلك لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الرضاع، فهذه تنفرد بها الأم وتشقى بها، ثم تشارك الأب في التربية»[2].

لقد جوزيت المرأة بأن تكون أحق الناس بصحبة الولد مدى الحياة؛ وذلك لما تعانيه في الحمل لمدة تسعة أشهر، وهو ما يدل على عِظم مهمة الحمل، ويؤكد ضرورة حسن صحبة المرأة ورعايتها أثناء قيامها بهذه المهمة، وأولى الناس بذلك هو الزوج، حيث تتوقع المرأة من زوجها أن يكون أكثر الناس اهتمامًا بها وأحرصهم على حسن عشرتها والعناية بها خلال مدة الحمل.

فلكل مقام مقال. والمرأة خلال مدة الحمل تحتاج إلى طريقة معاشرة وأسلوب في التعامل يختلف نوعًا ما عن ذلك الذي في مدة الحيض أو الطهارة. فهناك واجبات مختلفة وأعمال إضافية على الزوج أن يقوم بها في هذه المدة بالذات.

وأسوة بالأحداث العظيمة التي تقع فإن معرفة الرجل بأنه سيصبح أبًا كفيلة بإدخال الفرح والسعادة إلى قلبه، فيتبدل نمط

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٠٢/١٦.
(٢) فتح الباري للعسقلاني ٤٠٢/١٠.

حياته، ويأخذ في انتظار الساعة بلهفة وتشوق. وسيعلم أن الحمل فضل من الله تعالى آتاه الإنسان ليحفظ نسله، ويقيه شر الانقراض، وكم هناك من رجال محرومين من هذه النعمة العظيمة؛ نعمة الولد؟! فهذا الحدث لا بد أن يهيج أشواقه -وخصوصًا إذا كان الأول- فينتظر وجه الغائب على أحر من الجمر.

إذًا فليسهر الرجل على زوجته ولا يتردد فيما يستطيع أن يؤديه لها؛ فالحامل متعرضة لتغيرات جمة، كيميائية وغدِّية، هي في الواقع رفيقة طبيعية للحمل في مطلعه ومستهله وبعد قطع شوط منه. والرجل قادر أحيانًا على إحداث الدمار وإشاعة الخراب، وقادر على العبث والإفساد بجسم امرأته، وكذلك بأحاسيسها ومشاعرها.

فهي على سبيل المثال قد تقاسي من الغثيان، وقد تتعرض للعذاب. قد تصل الأوج بفرحها وسعادتها بحملها وبالمولود الجديد، وقد تسقط إلى الحضيض بيأسها وقنوطها وخوفها من مصاعب الحمل وأوجاع الولادة. وهذا كله يمكن أن يشيع الذهول والحيرة في نفسه، فيجب أن يتمالك جأشه ونفسه، وأن يفهم ويتفهم، وأن يؤيد ويساند، ويخفف ويلطف، ويعطف ويحب، فليس أمرًّ، بل ليس أكثر تدميرًا للزواج من حالة تضج في طياتها ردود الفعل السلبية. الزوجة تتعرض لهذا التحول، والزوج يتعرض لتحول عاطفي، وجدير به إذن أن يبقى ثابت الجنان، رابط الجأش، بعيدًا عن الخصام، قريبًا كل القرب من الوئام.

إن الحمل والجنين المنتظر... هو ثمرة حب الزوجين وتعاطفهما، ورابطة اللحم والدم التي تجمعهما والتي سوف تتوج زواجهما السعيد وتمد فيه الحياة. وللزوج دور مهم ينبغي أن يؤديه أثناء الحمل خلافًا لدوره الرئيس بعد ذلك.

- عليه أن يتذكر أن الحامل تكون أكثر حساسية من أي وقت مضى... وهي سريعة التأثر والانفعال، والميل إلى الهم والحزن لأتفه الأسباب، وذلك بسبب التغيرات التي تحدث لجسمها فتؤثر في نفسها... ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ لذا فهي تحتاج إلى عناية شديدة من الذين يعيشون ويتعاملون معها خاصة زوجها الذي يجب عليه أن يحوطها بجو من الحنان... ويبعدها عن الأسباب التي تؤدي إلى تأثرها وانفعالها...

- عليه أن يتذكر أن الحمل عارض طبيعي وليس مرضًا أصيبت به زوجته؛ لذا يجب ألا تكون نظرته لها نظرة مريضة، بل نظرة تفهم ومحبة وعطف.

- عليه أن يصحبها شخصيًا إلى الطبيبة، وأن يعرف منها النصائح والإرشادات التي قدمتها لها الطبيبة، فعندما يتفهم حالتها سيكون أكثر عونًا لها، وسوف ينبهها على ما يجب عليها عمله ويساعدها على التقيد بالتعليمات والإرشادات.

- لو طُلب من الرجل أن يحمل على بطنه عدة كيلوغرامات بصورة مستمرة لعدة أيام بل لعدة ساعات لرفض أو لأصابه هم

عظيم... فزوجته تحمل عبئًا جسميًا يمتد تسعة أشهر... وكل ذرة في جسمها تحس بالحمل وتهتز له وتشارك فيه... ﴿ **حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا** ﴾... لذا فهي بحاجة إلى وجود زوجها بجانبها. والمساعدات التي يمكن أن يقدمها لها كثيرة؛ مثل المساعدة في أعمال المنزل؛ وهذه إن كانت مستحبة منه في جميع الأوقات فإنها تصبح ضرورية في وقت الحمل، وقد كان رسول الله ﷺ يخدم أهله ولم يكن هناك حمل، سُئلت عائشة رضي الله عنها: «**ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ قالت: كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة**»[1]، ومهنة أهله أي خدمتهم. حتى إن اللقمة لو وضعها الرجل في فم زوجته وهو يقصد بذلك وجه الله تعالى حصل له أجر بها، فما هو أكثر من ذلك أولى، قال عليه الصلاة والسلام: «**ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت بها حتى اللقمة تجعلها في فِي امرأتك**»[2].

- كما أنه مطلوب منه ألا يكلفها بالأعمال الشاقة والمضنية، فكذلك عليه ألا يمنعها من أن تقوم ببعض الأعمال المنزلية الخفيفة لأن فيها الحركة الضرورية لجسمها لزيادة مرونة الأعضاء التي تشترك في الحمل والولادة، بل عليه أن يصحبها في نزهات سيرًا على الأقدام وممارسة رياضة المشي خاصة في المرحلة الأخيرة من

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله؟
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الوصية.

الحمل وذلك لتسهيل الولادة، إضافة إلى قيامها بالتمارين الرياضية المخصصة للحمل إن أمكنها ذلك. وصحبة الزوجة في رياضة المشي من حسن العشرة وقد كان النبي ﷺ يمارس رياضة الجري مع زوجته عائشة فيسابقها، فمرة تسبقه ومرة يسبقها.

- ليس خافيًا ما يسببه (الوحام) للحامل، من اضطراب في مزاجها ونفسها، وإرهاق في أعصابها وجسدها، وهي حالات تنعكس على ذوقها وعواطفها، بل وعلى علاقتها بزوجها في كثير من الأحيان... فعلى الزوج العاقل الواعي فور علمه بوحام زوجته أن يكون حَسَنَ التصرف معها، هيِّنًا ليِّنًا، يراعي راحتها، ويقدِّر معاناتها، ولا يُثقل عليها برغباته وطلباته.

- يلعب الأقرباء والجيران والصديقات دورًا كبيرًا في تكوين تصورات خاطئة ومخيفة عن الولادة، وخلق الشعور بالفزع لدى الحامل التي تكون حساسة للغاية، وخصوصًا في آخر مدة حملها، وهنا على الزوج أن يعمل على تبديد هذه المخاوف لديها ورفع معنوياتها وإفهامها حقيقة الحمل والولادة وأهدافها العظيمة، وأن ثوابها عند الله كبير، ويكفي ما وصى الله به الأولاد من الإحسان إلى الوالدين، وذكر الأم في أكثر من آية، وكذلك أخبر النبي ﷺ بأن أحق الناس بحسن صحبة الولد هي الأم، وأنها بمجرد رؤية مولودها سوف يطفح وجهها بالحماسة وتشعر بالسعادة، فتنسى آلامها وأوجاعها؛ لأنها أثبتت أنها كانت على مستوى المسؤولية،

وأنها أنهت عملها العظيم بمعنويات عالية ونجاح كبير. ومن الأفضل أن يُزَوِّد الرجل زوجته الحامل بالكتب الخاصة بالحمل التي يمكن أن توضح لها واجباتها في مرحلة الحمل والولادة وما بعدها.

فالحمل مرحلة فريدة، أثناءه يتمثل حب المرأة والرجل وعطفهما ووفاؤهما بأساليب جديدة، بأساليب فيها رقة ونبل ويقين، فلا يصيب العلاقة الزوجية خلل واضطراب، بل يعمق من جذور الحب الذي تبادلاه وتعاهدا عليه بالقول والفعل والتصميم.

إن المرأة الحامل تحتاج إلى الوقت تتكيف أثناءه مع التبدلات التي طرأت وتطرأ. فإن هي على سبيل المثال كانت من العاملات ومعتادة على ما ييسره العمل من صديقات، فقد تشعر بالوحشة، متى تخلت عن هذه العادة، وتشتاق إلى ما انقطعت عنه. والعلاج الأمثل هو الحديث اللطيف المتبادل يوميًا بين الزوجين، فهو الكفيل بإحداث التعديل النفسي المبتغى، الذي سرعان ما يتبعه تفاؤل عظيم في اللهفة إلى الماضي أو الحنين إلى ممارسة الماضي. ولا شيء يضاهي الحنان والرفق اللذين يعبِّر عنهما الزوج بنبل ومحبة. إن القليل من العطف يسبغه الزوج، يقوي المرأة ويشدد عزيمتها ويجدد طاقاتها. وما يعلمه الأب الموعود عن الحمل وتأثيراته، والولادة والأمومة، وواجبات الأب يعينه على الانصهار في هذه البوتقة.

إن هذا الاهتمام من الزوج يجب ألا يقتصر على الحمل الأول

فقط، ثم يفتر حماسه ويقل اهتمامه فيما يأتي بعده من حمل، بل إن مسؤوليته تكبر وواجباته تزداد مع كل حمل جديد، وزوجته تحتاج إليه أكثر مما مضى خاصة مع وجود أولاد سابقين، فقد ازداد تعبها وعليه أن يكون بجانبها لتقديم المساعدة والمساندة والعطاء...

الجماع في مرحلة الحمل:

ما دام الحمل يسير سيرًا طبيعيًّا فليس هناك ما يمنع من الجماع طوال مدة الحمل، وهناك من ينصح بالتوقف عن الجماع في الشهر الأخير من الحمل خوفًا من تسبب الالتهابات أو الولادة المبكرة. وفي جميع الأحوال فإن على الرجل أن يقرب زوجته الحامل بلطف ورفق، ويتجنب الضغط على بطنها خاصة في الشهور الأخيرة، ويُفضل تجنب الأوضاع التي فيها تعب وإرهاق لها، واختيار الأوضاع المريحة.

ومع أنه يجب على المرأة ألا تمتنع عن دعوة زوجها لها إلى الفراش، إلا أن على الزوج أن يأخذ في اعتباره الظروف التي تمر بها زوجته الحامل، فقد تكون في وقت من الأوقات في حالة جسمية أو نفسية سيئة، كما إن الحمل عمومًا يقلل من شهوة الجنس لدى المرأة فتغدو أكثر سلبية. فإن كان يستطيع أن يراعي هذه الحالة فيؤجل حاجته فذلك يكون خيرًا. فعلى الرجل أن يكون حكيمًا في تصرفاته، وأن يضَحِّي بشيء من رغباته وشهواته.

طرق المعاشرة في مرحلة النفاس:

إن الضيف الجديد، نزيل جديد، وعبء جديد. وهذا يقتضي تعديلات كثيرة، ويقتضي تكيفًا من نوع آخر، ليعرف الأب زوجته، وليعرف طفله؛ بذلك يعرف متى ينبغي له أن يلين، ومتى ينبغي له أن يصلب، متى يترتب عليه أن يتكلم، ومتى يترتب عليه ألاَّ يتكلم.

إن من الأمور الطبيعية أن يأخذ الطفل الجديد حيزًا كبيرًا من اهتمام أمه، وهنا على الزوج خاصة الذي أصبح أبًا لأول مرة ألا يُفاجأ فيما إذا وجد أن اهتمام زوجته به قد قلَّ عن السابق، فهذا لا يعني أنها قد تخلت عنه أو زهدت فيه، بل لأن الإنسان لا يستطيع أن ينفِّذ عملين في آن واحد. فالمولود الجديد يحتاج إلى عناية فائقة واهتمام كبير قد يشغل أمه عن الاهتمام بزوجها، بل يشغلها عن الاهتمام بنفسها، خاصة إذا كانت أمّاً لأول مرة وخبرتها قليلة في مسائل الأمومة ومتطلباتها، ولكن ريثما يصبح لديها الخبرة في ذلك وتشعر أنها قد أصبحت مسيطرة على الوضع وأن الأمور قد أصبحت مستقرة فسوف يعود اهتمامها بزوجها كما كان. فعلى الزوج أن يضع هذا الأمر في حسابه ولا يغضب من زوجته إذا حصل معه شيء من ذلك، بل يصبر عليها ويؤثر متطلبات طفله على رغباته ومتطلباته التي قد تتأثر أو تفوت بسبب طفله. ولا ينسى أن مرحلة النفاس هي مرحلة نقاهة واستجمام للأم.

إن الكآبة التي تنتاب الوالدة حديثًا فتجعلها تبكي بلا سبب

وتشعرها بالبؤس والانطواء النفسي، تحتاج من الزوج إلى رعاية خاصة. فعطف الزوج وحنانه على زوجته في هذه المرحلة له أثر كبير في تخفيف الشعور بالكآبة. وعليه أن يساعدها في التفريج عن الهموم التي ساورتها أثناء الحمل ووقت المخاض والولادة. وعليه أن يتجنب أي انتقاد أو تقبيح؛ لأنه يثيرها ويستفزها ويجعلها تنفجر باكية.

أما الاستمتاع بالزوجة في مرحلة النفاس فيقال فيه ما قد قيل في الاستمتاع بها في مرحلة الحيض، ومن المعروف أن مدة النفاس قد تطول أكثر من مدة الحيض فتصل إلى أربعين يومًا كحد أقصى، وما يُرى بعده من دم فهو استحاضة. أما أقل النفاس فلا حد له، فقد ترى المرأة الدم لحظة واحدة بعد الولادة ثم ينقطع نهائيًا، ومتى انقطع الدم وظهرت القصة البيضاء كما قالت عائشة رضي الله عنها طهرت المرأة وجاز جماعها في الفرج. هذا من الوجهة الشرعية، ولكن من الوجهة الطبية ينصح بعض الأطباء بتحاشي الجماع بعد الولادة إلى أن يعود الرحم وأعضاء المرأة التناسلية إلى حالتها الطبيعية، وهذا يستغرق من ستة إلى ثمانية أسابيع. ويقولون بأن من أهم مخاطر الجماع في الأيام الأولى بعد الولادة تسرب الجراثيم إلى الرحم.

ومن جهة أخرى، فإن الزوج سيلاحظ أن بطن امرأته لم يعد كما كان عليه في السابق، وهذا شيء طبيعي بعد انتفاخ البطن

وتمدد الجلد فيترك أثرًا من خطوط وترهل... ويمكن التغلب على هذه المسألة بالتمارين الرياضية المناسبة التي تعيد لزوجته لياقتها البدنية وتخفيف ترهلات البطن.

كلمة للزوجة:

ليس من المودة والرحمة تحويل الحمل إلى وسيلة للاستغلال والغلو في الدلال والمطالب الزائدة عن الحد أو غير الضرورية؛ فحملها ليس للزوج فقط بل هو لها وله. فلتقم بما عليها من واجبات سواء كانت ظروف الزوج تسمح له بالقيام ببعض ما ذكرته آنفًا من طرق المعاشرة وأساليب التعامل خلال مدة الحمل أو لا تسمح. فعليها بالصبر وأن تبتغي من حملها وجه الله تعالى لكي تحصل بذلك على الأجر بالرغم من أن الحمل هو من طبيعة المرأة ووظيفتها في الحياة.

وإذا ما رأت زوجها يحاول أن يحسن عشرتها في مدة الحمل ويتبع السبل الكفيلة للاهتمام بها وإدخال السعادة عليها، فلتحاول هي ألا تزعجه، وتسبب له القلق، فتشغله بكل كبيرة وصغيرة، وبكل ألم أو عارض يسير مما يصاحب الحمل كأمر طبيعي، وبإمكانها تحمُّله وحدها، فالزوج له متاعبه ومشكلاته الخاصة التي يعاني منها في العمل وفي كل مكان خارج البيت، وهو يحمل همومًا أثقل من الجبال، ربما لو طلب منها أن تحملها بدلاً من حملها الذي في بطنها لرفضت بشدة واقتنعت بحملها.

من جانب آخر، فأن تصبح حاملاً فهذا ليس معناه أنها قد وصلت إلى شاطئ الأمان، وأن مهمتها من الزواج قد تمت فتهمل نفسها وتترك زينتها وأناقتها، بل عليها الاستمرار في التزين لزوجها، وهناك ألبسة مناسبة للحمل تجعلها جميلة وأنيقة كما كانت كذلك قبل الحمل.

وعلى المرأة ألا تستسلم لمضايقات الحمل أو أوجاعه فهذا شأن النساء ضعيفات الإرادة اللاتي يستسلمن بسرعة لأي ألم ولو كان يسيرًا ولا يقوين على الشدائد، وتلهث أنفاسهن وينتابهن الروع كلما فكرن في الحمل والولادة ومسؤولياتهن تجاه طفل جديد. ولا تلقي بالاً لكل ما تسمعه من الأخريات عن صعوبة ومشكلات الحمل وأوجاع الولادة، فليست كل امرأة كالأخرى.

ولتبتعد عن القلق والاضطراب النفسي والعصبية، ولا تترك مجالاً للشكوك والهواجس لتتلاعب بأعصابها وراحتها، ولتتابع حياتها اليومية كما كانت قبل الحمل، ولا تجعل اهتمامها بنفسها يأخذ وقتها كله وينسيها الاهتمام بزوجها[1].

ولتعلم المرأة أن الراحة الكثيرة والجمود عن الحركة خلال مدة الحمل ليس في مصلحتها، بل إن الحركة التي تبذلها في أعمالها المنزلية هي خير رياضة يمكن بواسطتها أن تخفف كثيرًا من آلام

(١) انظر: صباح عباس، الحياة الزوجية ٢٣٥.

الحمل وكذلك تسهيل الولادة، فبقدر ما يكون مستوى لياقة جسم المرأة عاليًا وأعضاؤها التي تشترك في الحمل والولادة مرنة؛ يكون الحمل سهلاً وخفيفًا والولادة ميسرة.

كما أن الحمل ليس مدعاة إلى الامتناع عن الجماع إلا أن يكون الحمل غير طبيعي. وعلى الزوجة أن تلبي دعوة زوجها كلما دعاها إلى الفراش حتى في الأوقات التي لا تشعر فيها بالرغبة. فهذا أمر له أهميته البالغة بالنسبة للزوج، حيث إن رفضها أو تقاعسها عن هذه التلبية، قد يسبب لزوجها الكبت المضر بصحته الجسمية والنفسية. فالشهوة الجنسية عند الرجل على عكس المرأة إذا اشتدت فهي كالريح العاصفة إذا هبت لا يمكن توقيتها أو إخضاعها لجدول زمني، أو هي شحنة كهربائية تجعل الجسم نفسه يصرخ لتفريغها، ولا تحتمل تأجيلها أو إلغاءها أو تلافيها، فهي شحنة تُكهرب الجسم كله ولا تقتصر على الأعضاء التناسلية فقط، وعدم تفريغ هذه الشحنة الكهربائية يلقي بالرجل في أتون التعاسة والقلق والمرارة، ويصيبه بأضرار في بدنه ونفسه. وقد شدد الإسلام على الزوجة بإجابة دعوة زوجها إلى الاستمتاع بها في أي وقت، وعلى أي حال كانت، فقال رسول الله ﷺ: «**إذا الرجل دعا زوجته لحاجته فلتأته، وإن كانت على التنور**»[1].

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٩٢٧.

ويجب على المرأة ألا تنسى حين تمتنع عن تلبية دعوة زوجها ما سوف يلحقها من الإثم والسخط من الله وملائكته، قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبت أن تجيء، لعنتها الملائكة حتى تصبح**»[1]، وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها**»[2].

أما بعد الولادة فلا تجعل الاهتمام بطفلها ينسيها الاهتمام بزوجها، أو تجعل الاهتمام بالطفل حجة للتهرب من حقوقه عليها، بل عليها أن تبذل جهدها لإسعاده وإراحته، فهو والد طفلها الذي جعلها تحمل لقب أم، والأمومة حنان ورحمة وعطف...

طرق المعاشرة والتعامل في مرحلة الطهارة:[3]

إن الرجل الذي يتعود التعامل مع زوجته حسبما ورد سابقًا من طرق المعاشرة وأساليب التعامل الحسنة أثناء الحيض والحمل والنفاس ويتخطى هذه الحواجز الثلاثة بنجاح؛ فإنه أولاً: لن ينقلب فجأة إلى إنسان آخر مختلف عندما تطهر زوجته من الحيض أو من النفاس فيتعامل معها تعاملاً سيئًا. ثانيًا: إن الذي ينجح في المهمات الصعبة وأيام الأزمات لا بد أن ينجح في المهمة الأقل

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها.
(٣) انظر الكتب التالية: (١٧)، (٤٦)، (٤٧)، (٥٧).

صعوبة في الأيام العادية وهي أيام الطهارة عند الزوجة التي في غير مرحلة الحمل.

لذا فالمعاشرة الحسنة أيام الحيض أو الحمل أو النفاس يجب أن تستمر في أيام الطهر، بل تزداد حبًا ومودة ورحمة... خاصة أن في هذه المرحلة أيام هي أيام الخصوبة عند المرأة، حيث تنطلق البويضة من المبيض، وتشعر المرأة بالرغبة في زوجها فتميل إليه وتقترب منه... وعلى الرجل أن يدرك هذا الأمر فلا يكون فظًا غليظ القلب فتنفض زوجته من حوله وهي تشعر بالحسرة والألم... بل عليه أن يبادلها المشاعر نفسها...

وإن أسعد لحظة في حياة المرأة هي عندما تسمع من زوجها كلمة حلوة يعبر فيها عن حبه لها وإعجابه بجمالها؛ لأن ذلك يشعرها بأنوثتها ومن ثم تفيض بحبها وحنانها على زوجها... والكلمة الحلوة تسحر المرأة مثل الرجل، إلا أنها تمكث عند المرأة زمنًا أطول مما يجعل أسلوب حياتها يتغير لقاء كلمة حب أو إعجاب أو ثناء... والمرأة قد تنسى كل تعبها وعنائها بكلمة حلوة تسمعها من زوجها، بل وتجعلها تعيش سعيدة لأسابيع... فالمرأة بحاجة مستمرة إلى سماع كلمات الحب والحنان من زوجها لتشعر بأنها ما زالت محبوبة ومهمة عنده كما كانت في بداية حياتها الزوجية معه...

لا بد أن يكون لأي زوجة جوانب إيجابية وصفات حسنة ترضي زوجها، فبالله كم مضى من الزمن على المرة الأخيرة التي أبدى فيها

رجل ما إعجابه بجمال زوجته وتغزل بها؟ فليعلم الرجل أن مدح المرأة أثناء الخطبة وقبل الزواج هو من قبيل الميل والانعطاف، أما مدحها بعد الزواج فهو من قبيل الضروريات للمحافظة على راحة البال والهناء العائلي؛ ولا يقل: «إي والله ينبغي أن أفعل هذا» بل ليفعله!.

فالكلمات الحلوة عند المرأة مثل مكعبات السكر تجعل طعم الحياة الزوجية حلوًا وجميلاً وتجدد الحب في عروقها... وهي أيضًا مثل شحنة الطاقة؛ تزيل هموم الحياة ومتاعبها، وتقوي عزيمة المرأة، وتنعش فؤادها، وتزيد من قدرتها على تحمل المصاعب، وتشجعها على التضحية والبذل والعطاء... لأن المرأة تحب الثناء والتقدير والإعجاب ويؤثر فيها تأثيرًا بالغًا... بل إن أي اهتمام بالمرأة ولو كان يسيرًا يمكن أن ينقلب في نفسها إلى حب...

إن الرجل يريد استحسان الناس له، والاعتراف بقدره وقيمته، ويتعطش إلى أن يكون ذا شأن في دنياه الصغيرة، ويرغب في أن يكون أصدقاؤه ومعارفه وزوجته مسرفين في تقديرهم له، مبذرين في مديحهم إياه، فليمنح زوجته ما يحب أن يُمنح لنفسه، وقد قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1]. خاصة إذا أراد أن يحظى براحة البال في حياته الزوجية. وليس عليه أن

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه.

يعَيَّن (دبلوماسيًا) لكي يستخدم هذا المبدأ، بل إنه يستطيع أن يفعل به فعل السحر في كل يوم مع زوجته، فعبارات مثل: (هل تسمحين أن تأتيني بكذا...) أو (هل من الممكن أن تفعلي كذا...) و (آسف لإزعاجك) و (جزاك الله خيرًا) و (شكرًا لك) وغيرها من العبارات تفعل فعل السحر في نفس الزوجة، وتقطر الزيت في عجلة الحياة اليومية التي تدور متشابهة في سأم وملل. وكذلك فليمدح مثلاً الطريقة التي تدبر بها زوجته المنزل، وليمدح طبخها، فقد كان أبناء الطبقة الراقية في عهد القيصرية الروسية إذا استحسنوا طعامًا أصروا على أن يؤتى بالطاهي أمامهم ليسبغوا عليه شكرهم وتقديرهم! أفليست الزوجة أحق بالشكر والتقدير من طاهٍ روسي؟! وكذلك فليجاهر الرجل بتقدير الملابس والهندام الذي أرهقت زوجته نفسها في إحكامه لتروق في نظره، فالمرأة تبذل جهدًا كبيرًا في سبيل ظهورها بالمظهر الذي يروق لزوجها.

وعلى الرجل ألا يتحول من السخط إلى التقدير، ومن الانتقاد إلى المدح فجأة وبلا تمهيد، بل يحضر لها الليلة شيئًا من الزهور أو الحلوى، وأفضل من هذا أن يحضر لها ابتسامة مشرقة وبعض العبارات المخلصة.

كل رجل يستطيع أن يغري امرأته على أن تفعل من أجله أي شيء لو أنه أهدى إليها بين الفينة والفينة شيئًا من الهدايا التي لا تكلف مالاً يُذكر، مكافأة لها على حسن تدبيرها للبيت، أو إجادة

طهوها لطعامه، وكل رجل يستطيع أن يجعل زوجته لا ترضى أن تستبدل ثوبها بأحدث مبتكرات (الموضة) لو أنه يقول لها: (كم أنت جميلة بهذا الثوب؟)، فكيف بالله يتكاسل الرجل عن بذل الجهود في سبيل هنائه العائلي؟ وكيف يعزف عن الكفاح من أجل السعادة في الزواج، وهو يركب الصعب، ويخوض الأهوال في سبيل أن يكسب بعض المال؟! فأيهما أجلب للسعادة: أكداس من المال، أم حياة زوجية قائمة على الوفاق والوئام؟!.

فعلى الزوج أن يهتم بهذا الأمر اهتمامًا كبيرًا ولا يهمله بحجة زوال الكلفة بينه وبين زوجته، أو لأنهما قد أنجبا البنين والبنات، أو لأنهما كبرا في السن، أو لأنه قد أمَّن لزوجته كل وسائل الرفاهية ورغد العيش... فكلمات الحب والعطف والحنان والشكر والتقدير عند المرأة أغلى من الذهب والجواهر، والملابس والسيارات، وكل ما لذ وطاب من المأكولات والمشروبات... لأن هذه الأشياء غذاء ومتعة للجسم، وتلك الكلمات غذاء للروح وفرحة للقلب... ولا شك أن الرجل حين يفعل ذلك فإنه يتقي النار وينال الأجر من الله عزَّ وجلَّ، كما قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة**»[1]، «**والكلمة الطيبة صدقة**»[2]. قال ابن بطال: وجه كون الكلمة الطيبة صدقة أن إعطاء المال يفرح به قلب الذي

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذِّب.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب من أخذ بالركاب ونحوه.

يعطاه ويذهب ما في قلبه، وكذلك الكلام الطيب[1].

وهناك بعض الأمور التي على الرجل مراعاتها في مرحلة الطهارة وفي غيرها كذلك وأُجملها فيما يلي:

● حسن الخُلق مع زوجته واحتمال الأذى منها والتغافل عن كثير مما يبدر منها رحمة بها وإشفاقًا عليها. فالمرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج... وهي لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها، استمتعت بها وفيها عوج... فدارِها تَعِشْ بها، وعاشرها بالمعروف فإن لها مثل الذي عليها.

● أن يمازحها ويلاعبها ويضاحكها، فذلك يطيب قلبها ويريح نفسها ويجبر خاطرها وينشطها إلى العمل عن رغبة في إرضائه وحب له... وأن يستمع إلى حديثها، ويحترم رأيها، ويستشيرها في أموره.

● ألا تجره المازحة والملاعبة وحسن الخلق إلى اتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط هيبته عندها، بل يراعي الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرًا، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة، بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتعض.

---

(١) فتح الباري ١٠/٤٤٩.

● الاعتدال في الغيرة: إن الغيرة في محلها محمودة ولا بد منها، وأما عدمها فمذموم، فعليه أن يغار عليها غيرة تقي عرضه أن يتدنس فلا يسمح لها بالسفور والتبرج والاختلاط... ولا يبالغ في إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن. كذلك عليه أن يراعي غيرتها التي هي من طبيعة الأنثى وتهيج عند أدنى مثير، خاصة إذا كان هذا المثير امرأة؛ فليتجنب النظر إلى النساء وألا يذكر أمامها محاسن أحد من النساء سواء اللاتي في الواقع أو في التلفاز، ولا يُظهر لها اهتمامًا زائدًا بإنسان أو شيء ما.

● الاعتدال في النفقة فلا ينبغي أن يقتر عليها في الإنفاق، ولا ينبغي أن يسرف، وليجعل نصب عينيه قول الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** ﴾[1]، وأهم ما يجب مراعاته في الإنفاق أن يطعمها من الحلال لا من الحرام كالسرقة والربا والغش والرشوة... فإن ذلك جناية عليها لا مراعاة لها فضلاً عن أنه جناية على نفسه في الدنيا والآخرة.

● أن يقيها النار كما أمره الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا...** ﴾[2]، بتعليمها أحكام الحيض والطهارة والصلاة والحجاب وعدم الاختلاط، وإرشادها إلى كل ما تحتاج

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.
(٢) سورة التحريم: الآية: ٦.

إليه من أمور الدين، وتخويفها من عقاب الله إن تساهلت في ذلك، وأن يعينها على طاعة الله. وليعلم أن الشيطان عينه دائمًا على المرأة؛ لأنها سلاحه الفعال في فتنة الرجال، وهو كامن لها على الدوام ينتظر اللحظة التي تُترك فيها من قبل مربيها وراعيها ليستحوذ عليها ويربيها لنفسه... فالزوج في منافسة وتسابق مع الشيطان، والمربي إما الزوج وإما الشيطان إلا من رحمها الله تعالى ووفقها لهدايته. وترك الزوجة للشيطان ظلم لها وسيدفع الزوج ثمنه لأن أهم هدف للشيطان بعد استحواذه على المرأة هو التفريق بينها وبين زوجها.

● أن يطيب خاطرها ويراضيها ولو بالكذب، فقد رخص الشرع له بالكذب عليها لاستمالتها وإرضائها، وعليه بالهدية من وقت لآخر.

● أن يحفظ أسرارها فلا ينشرها خاصة ما يجري بينه وبينها من أمور الجماع، قال رسول الله ﷺ: «**إن من أشرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفضي إلى امرأته وتُفضي إليه ثم ينشر سرها**»[1].

● لا يوجد حياة زوجية دون تقصير أو خلافات، وهذا أمر طبيعي، ولكن الأمر غير الطبيعي أن يتطور الخلاف، وليس هناك

(١) أخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب تحريم إفشاء سر المرأة.

شيء يطوِّر الخلاف ويضخمه ويعرِّض الأساس للخطر مثل خروجه من البيت وخاصة إلى الأهل، فعلى الرجل عند وجود أي خلاف ألا يبيت ليلته إلا وقد فض هذا الخلاف، وهذا من أفضل الأسباب لتهدئة النفوس وتصفيتها. وليحتكما دائمًا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

● أن يتطيب ويتزين لها كما يحب أن تتطيب وتتزين له، فهذا يشد المرأة لزوجها ويزيد من تعلقها به وتلهفها عليه. وإذا كان مدخنًا فلا يحاول أن يسألها إذا كان الدخان يؤذيها؛ لأن إجابتها العلنية ستكون غالبًا: (لا)، أو تسكت مجاملة له، وتخفي في نفسها الإجابة الحقيقية وهي: (نعم، الدخان يؤذيني؛ ويؤذيني أكثر عندما أشم رائحته الكريهة وهي تملأ فمك؛ فرحمة بي وبالجنين الذي في بطني وبأطفالك الصغار أقلع عن الدخان).

● أن يحرص على إعفافها ونيل حاجتها من الجماع.

● آداب الجماع وشؤونه: التسمية والاستعاذة عملاً بقول النبي ﷺ: «**لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله، قال: بسم الله، اللهم جنِّبنا الشيطان، وجنِّب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يُقَدَّر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدًا**»[1]. وأن ينوِّع في أوضاع الجماع كما قال تعالى: ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ**﴾[2].

(١) أخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقال عند الجماع.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

أي كيف تريدون من أمام أو من وراء أو من جانب ولكن في محل الحرث وهو الفرج من غير تعرض للدبر. ويستحسن أيضًا تنويع أماكن الجماع داخل البيت... ويراعي الرجل في بعض أوضاع الجماع ألا يجثم بثقله على صدر امرأته خاصة إذا كان ثقيل الوزن فيكتم أنفاسها ويضغط ضلوع صدرها ويتحول الأمر من جماع واستمتاع إلى صراع وأوجاع، بل يتكئ على ساعديه أو راحتيه.

وإني لأرى أن هناك طريقة تعامل مهمة جدًا وحساسة للغاية يجب أن أضيفها إلى ما سبق من طرق التعامل مع الزوجة، ألا وهي طريقة التعامل معها في الجماع وتوضيح بعض الأمور التي تتعلق به في مرحلة الطهارة، ولا شك أن اتباع هذه الطريقة يبعد النفور بين الزوجين... ويجلب الحب والإعجاب... ويغلف الحياة الزوجية بغلاف جميل براق...

فقد اكتشفت عن طريق المقابلات الشخصية أن هناك كثيرًا من الرجال يعتقدون أن هدف الجنس عند المرأة كهدف الجنس عند الرجل، وأن شهوة المرأة الجنسية أقوى من شهوة الرجل، وأن الاستثارة الجنسية عند المرأة مثلها عند الرجل، وأن خطوات الجماع واحدة عند كليهما وتنحصر في العملية الجنسية نفسها، وهذا كله خطأ محض وجهل بطبيعة المرأة وغريزتها الجنسية. وقد بينت في الفصل السابق الحقائق العلمية حول الجنس عند الرجل والمرأة.

إن الرجل يُثار جنسيًا بسهولة، وتتركز الإثارة عنده في الأعضاء التناسلية، ويمكنه أن يمارس الجماع بعد لحظات من التفكير فيه دون حاجة إلى مقدمات، والجماع عنده ينحصر في العملية الجنسية نفسها التي تبدأ بالانتصاب والإيلاج وتنتهي بالقذف، وهذا شيء معروف، لكن الشيء الذي لا يعرفه بعض الرجال هو أن الجنس والجماع عند المرأة له ثلاث مراحل:

فالمرحلة الأولى منه هي: التهيئة؛ أي إثارتها جنسيًا؛ وهي تثار بالكلمة الحلوة وباللباقة وبالرائحة الزكية... ولهذا فالخطوة الأولى بعد التزيُّن والتطيُّب تكون بتوجيه كلمات الحب والغزل إليها، ووصف محاسنها وجمالها[1]... فهذا ما تحبه المرأة ويثيرها، وهي تحتاج إليه بسبب طبيعتها العاطفية حتى ولو كان هذا الكلام تكلفًا. ثم الخطوة الثانية وهي: إثارتها بدنيًا عن طريق الأماكن ذات الحساسية الجنسية من جسمها.

وهذه تتطلب من الزوج نوعًا من الرقة والحنان وهي من الأعمال الناجحة التي تريح الزوجة نفسيًا، وتؤنسها عاطفيًا،

(١) ولهذا السبب علينا ألا نستغرب حب المرأة لسماع أغاني الحب والغزل ومشاهدة الأفلام والمسلسلات العاطفية أكثر بكثير من الرجل، فهي بذلك تنال جرعتها العاطفية التي تحتاج إليها خاصة عند عدم وجود من يعطيها هذه الجرعة العاطفية... وكذلك لا نستغرب كيف يقع بعض النساء في شباك الرجال التي خيوطها ليست إلا كلام ولكنه كلام الحب والمدح والإعجاب، والتغزل بالجمال... الذي يمكن أن تكون نهايته كارثة وفضيحة وهو لم يكن أوله سوى الكلام فقط؛ وهذا ما يجب أن يدفع الرجال إلى حفظ آذان نسائهم من سماع هذا الكلام من أي جهة ومن أي مكان يمكن أن يتسلل أو ينفذ إليها.

وتمتعها بدنيًا، وتحثها على الاستجابة، وتمكّن الزوجين من إرواء عاطفي عميق... وتحتاج المرأة إلى وقت من هذه المداعبة حتى تُثار وتتهيأ تمامًا للمرحلة الثانية وهي الجماع، وهذا على عكس الرجل الذي يُثار ويصبح مهيأً للجماع بثوانٍ معدودة هي زمن الانتصاب.

ومن نتائج هذه المداعبة خروج الإفرازات الملينة للمهبل لتسهيل حركة العضو فيه، وإن عدم خروج هذه الإفرازات -بسبب عدم حصول هذه المداعبة أو بسبب عدم رغبة المرأة في الجماع أو لأي سبب آخر- قد يجعل المرأة تشعر ببعض الألم عند الجماع وربما حدثت خدوش في المهبل.

المرحلة الثانية هي: العملية الجنسية نفسها... وعلى الرجل ألا يكون أنانيًا فيها بحيث لا ينظر إلا إلى استمتاعه هو فحسب، بل عليه أن يأخذ زوجته في الحسبان أيضًا، خاصة إذا شعر برغبتها في الجماع وتصرفها الإيجابي أثناءه... فيحاول السيطرة على نفسه والتحكم بالجماع إلى أن يتيقن من أن زوجته قد قضت حاجتها، لأن الإنزال عند المرأة يأخذ مدة أطول من الرجل. وإذا حصل أن قضى الرجل حاجته قبل زوجته فلا يستعجل في القيام عنها لأن ذلك يؤذيها، بل ينتظر فقد تقضي المرأة حاجتها وهو على هذه الحالة. فالتوافق الجنسي يزيد متعة الزوجين، ويضفي البهجة على عش الزوجية.

المرحلة الثالثة وهي: التهدئة؛ ولا تقل هذه المرحلة أهمية عن المرحلة الأولى، وتزداد أهميتها خاصة في المرات التي يقضي الرجل فيها حاجته دون زوجته. فإتمامًا لسعادتها وسرورها على الرجل ألا يفارقها عقب الانتهاء من الجماع مباشرة، أو يدير ظهره لها ويستغرق في النوم وكأن شيئًا لم يحدث بينهما، فإن ذلك يضايقها... بل عليه أن يواصل لبعض الوقت حديث الحب والغزل، وقبلات الحب، والضم العاطفي، والمداعبات الرقيقة، واللمسات الحانية... فالزوج الذي يفعل ذلك بعد الفراغ من العملية الجنسية إنما يعبر تعبيرًا أكيدًا عن مدى الرابطة والحب الذي يكنه لزوجته، وبالوقت نفسه تشعر المرأة بأنها لم تكن مجرد ملهاة جنس ومتعة لحظات للرجل.

فهذه هي المراحل الثلاث التي تحتاج إليها المرأة للوصول إلى الاستمتاع الكامل من الجنس والجماع، وبها يتم إشباع المرأة عاطفيًا وجنسيًا.

طرق المعاشرة في سن اليأس:

إضافة إلى الحالات الأربع السابقة التي تتقلب المرأة فيها باستمرار، هناك أيضًا حالة خامسة تدخل فيها المرأة في كبرها وتستمر فيها إلى الوفاة، ألا وهي (سن اليأس) أي عند توقف الإنجاب وانقطاع الحيض، وهذه الحالة أيضًا تتطلب طريقة خاصة في التعامل والمعاشرة بناء على التغيرات الجسمية والنفسية التي

تحصل للمرأة في هذه السن تضاف إلى طرق المعاشرة وأساليب التعامل التي مرَّ ذكرها في مرحلة الطهارة.

أما بالنسبة للجماع فإن الوضع قد يختلف قليلاً عما كان عليه الحال قبل سن اليأس، فمع احتفاظ المرأة بميلها ونشاطها الجنسي بعد سن اليأس إلا أن عملية الجماع يطرأ عليها بعض التغيرات.

فالمهبل يتعرض لتغييرات تقل فيها الإفرازات التي تخرج عند الجماع ووظيفتها التشحيم والتليين لتسهيل حركة الاتصال الجنسي، أي إن المهبل بصفة عامة يتعرض لحالة من الجفاف؛ وعلى هذا فإن المهبل يحتاج إلى زمن أطول من الإثارة والمداعبات الجنسية لحدوث التليين استعدادًا لاستقبال عضو الرجل.

كذلك ضعف مرونة جدار المهبل على التمدد ليتوافق مع الحركة الجنسية؛ قد يجعل الاتصال الجنسي مؤلمًا للمرأة في بعض الأحيان.

وبإمكان المرأة في هذه السن أن تظل محتفظة بقدرتها على الجماع السوي وإمتاع زوجها... أما بالنسبة لمشكلة الجفاف المهبلي فإنها ليست أبدًا مستعصية العلاج إذ هناك كثير من الوسائل اليسيرة التي يمكن بها التغلب على هذه المشكلة.

خاتمة وتنبيه

ربما يعمد بعض الأزواج الأفاضل من قراء هذا الكتاب إلى استخدام ما ورد فيه من طرق المعاشرة وأساليب التعامل مع الزوجة بطريقة آلية صرفة! ولهذا أجد نفسي مضطرًا إلى التنبيه على أن مثل هذه الطرق والأساليب إنما تؤتي ثمارها إذا صدرت من أعماق القلب وبلهجة صادقة مخلصة لا بلهجة استخفاف أو استهزاء بالزوجة كأنه يُفهمها بأنه لا يعني ما يقول أو أنها لا تستحق ما يقوله فيها من كلام حسن...! فلست أبيع في هذا الكتاب حيلاً أو طرقًا في الخداع، وإنما حاولت أن ألقي الضوء على طرق مجدية من طرق الحياة الزوجية السعيدة.

فإذا أردت أن تحصل على فائدة باقية الأثر من هذا الكتاب، فلا تحسب أن مجرد تصفحه يكفي، بل يلزمك إذا انتهيت من قراءته أن تصرف بعض الوقت كل شهر في مراجعته، اجعله في مواجهتك كل يوم، وألقِ عليه نظرة عابرة كلما أمكنك، وتأمل فيما قرأت، وسائل نفسك: كيف ومتى أستطيع أن أطبق هذه الطرق عمليًا؟ ضع علامة أو خطًا تحت كل اقتراح وجيه ينفعك، فوضع العلامات في الكتاب يجعله أكثر إمتاعًا وأسهل في المراجعة عند اللزوم. اخلق في نفسك رغبة عميقة في التطبيق وفي تنمية

مقدرتك على معاملة الزوجة، واذكر أن تطبيق الطرق والأساليب الواردة في هذا الكتاب لا يصبح اعتياديًا بلا شعور إلا إذا داومت على مراجعة هذه الطرق واستبقيتها ماثلة في ذهنك.

ليس التعليم هو تلقين الطرق والأساليب وحسب، بل إن التعليم لا يصبح مجديًا إلا إذا اقترن بالتطبيق العملي، فإذا أردت أن (تتعلم) الطرق الواردة في هذا الكتاب، لزم أن تفعل شيئًا في هذا السبيل... طبق هذه الطرق في كل مناسبة، فإذا لم تفعل فسوف تنساها سريعًا، فالمعرفة التي تعلق بأذهاننا هي المعرفة التي نستخدمها كل يوم. صوِّر لنفسك كيف أن تطبيق هذه الطرق يدنيك من النجاح في حياتك الزوجية، ولا تنس أن نجاحك وشخصيتك وسعادتك تتوقف إلى أبعد حد على مهارتك في التعامل مع الزوجة.

وربما صادفت صعوبة في المداومة على تطبيق هذه الاقتراحات، فأن ينتقد المرء -مثلاً- أسهل من أن يحاول الفهم والإدراك، وأن يفتش عن الأخطاء أيسر من أن يفتش عما يستحق الثناء، وأن يتكلم فيما يحبه أمتع من أن يتكلم فيما تحبه زوجته...! ولكن اذكر وأنت تقرأ هذا الكتاب أنك لا تجمع معلومات وحسب، بل تسعى إلى تكوين عادات جديدة واكتساب طريقة أخرى للحياة الزوجية، وهذا يحتاج إلى وقت ومثابرة. فاعرض إذًا هذه الصفحات ما أمكنك واتخذ هذا الكتاب مرجعًا عمليًا في العلاقة الزوجية، فإذا واجهتك مشكلة في اجتذاب زوجتك فلا تسارع

باتخاذ الإجراء (الطبيعي)، أي؛ الغريزي، فهو في معظم الأحوال يكون خطأً، بل قلِّب من فورك هذه الصفحات التي قد تكون ميزتها بعلامة وحاول تطبيقها، ثم انظر أي (مفعول عجيب) سوف تعقبه لك.

امنح زوجتك هدية أو مبلغًا من المال في كل مرة تخالف فيها إحدى هذه الطرق، وحوِّل بذلك ممارسة هذه الطرق إلى لذة ممتعة. اختل بنفسك ولو مرة في الأسبوع لتراجع ما فعلته مع زوجتك وحاسب نفسك حسابًا دقيقًا عادلاً لمعرفة الأخطاء التي ارتكبتها، واسأل نفسك عن الطرق التي يمكن أن تصحح بها هذه الأخطاء وأن تتجنبها في المستقبل.

وختامًا أسأل الله عزَّ وجلَّ أن ينفعك بهذا الكتاب، وأذكِّرك بأن تشملني بدعوة صالحة إن رأيت فيه خيرًا.

وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى من القول والعمل، وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن يعيننا على العمل بما علمنا وأن ينفعنا به، وأن يرزقنا السعادة الزوجية، إنه أكرم مأمول وبالإجابة جدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا.